**خصائص العلوم الانسانية**

**مقدمة**

لم تكن مهمة قيام العلوم الإنسانية بالمهمة السهلة وهذا نظرا لكثرة العوائق والصعوبات التي حالت دون علميتها وتحقيقها لأهدافها المرجوة منها :فما هي هذه العوائق وما هي التحديات للتصدي لهذه العوائق؟

**أولا: العوائق والصعوبات:**

يمكن تصنيف هذه العوائق إلى قسمين :يتعلق القسم الأول منها بموضوع أو مادة الدراسة ،بينما يتعلق القسم الثاني بالباحث،وهو ما أدى إلى ظهور موقفين متجادلين في هذه المشكلة وهما:**الاتجاه الطبيعيnaturalism :** والذي يعتبر العلوم الطبيعية النموذج الأوحد الذي يجب احتذاؤه لكي يحظى البحث في الانسان والمجتمع بلقب العلم،**والاتجاه ضد الطبيعي:anti-naturalism**: والذي يدعو إلى ضرورة الحرص على بلوغ مستوى العلوم الطبيعية دون الالتزام بنموذجها باحترام خصائص الظاهرة الانسانية .لكن ما هي هذه العوائق؟

**1-عوائق متعلقة بطبيعة البحث:**

تتمحور معظم الصعوبات في العلوم الانسانية حول موضوعها :الانسان والذي يتميز بتفرده وتعقيده بتعقد وتعدد مختلف الأبعاد والجوانب لشخصيته وكذا عفويته وحرية إرادته وتقلب سلوكاته مما يصعب استخلاص التعميمات واجراء التجارب عليه وإخضاعه للقياس والتنبؤ به مستقبلا.

ففي التجربة المنضبطة التي يزاولها الباحثون في العلوم الطبيعية يمكن للمجرب أن يعالجها بإرادته وفي حدود معينة وبوسائل مضبوطة باحثا عن المتغيرات المرتبطة بوقوع الظواهر محل الدراسة ما يمكنه من دراسة آثار تلك المتغيرات على الظواهر وكشف العلاقات القائمة بينها وبين الظواهر المدروسة ،كما تتضمن هذه الدراسة إعادة إنتاج الآثار التي تفضي إليها تلك التحولات عن الظواهر محل البحث.

لكن في الظواهر الانسانية يتعذر التكرار لأن المتغيرات على فرض وجود قدر كاف منها قد لا تكون مماثلة في الخواص المطلوبة ،فالاطراد في هذا المجال أقل ظهورا منه في الظواهر الطبيعية ،وذلك لدرجة التركيب والتعقيد في الظواهر الانسانية مما يصعب من أن نعزل جانبا واحدا من جوانب الموقف التجريبي عزلا يمكننا من تتبع ذلك المعامل أو المتغير وحده في تكرار وقوعه.

إن الباحث في العلوم الانسانية ليس في وسعه أن يعيد الظاهرة التي يدرسها كلما أراد أن يخضعها للمشاهدة كونها فريدة من نوعها لا تتكرر،وان تكررت فستحدث بظروف وخصائص جديدة مخالفة لما كانت عليه، ويترتب على هذا أن يكون التنبؤ في العلوم الانسانية عسيرا بسبب تعقد الأبنية الاجتماعية وكذلك بسبب التعقد الخاص الذي ينشأ عن الترابط بين التنبؤات نفسها وبين الحوادث المتنبأ بها.

ومن بين الصعاب التي تواجه العلوم الانسانية والتي تنفرد بها طبيعة موضوعات الدراسة في العلوم الانسانية خاصية **القيمة أو التقويم** والتي تعتبر جزءا جوهريا من من الوقائع التي يدرسها الباحث ،لكن بالمعنى الذي يجعلها بمثابة الالتزامات الخاصة بالباحث ولكن بوصفها التزامات باطنة في الظاهرة الإنسانية نفسها.

فالملاحظ أن الظواهر الانسانية تحركها جملة من الغايات وتتحرك وقفا لمجموعة من القيم ،بل إن أكثر العلوم تقدما مثل الاقتصاد وعلم النفس وعلم الاجتماع تقوم على افتراضات قيمية وغائية مثل القول بالمنفعة والتكامل والمصلحة والتكيف والسواء والانحراف ...وغيرها،فالإنسان في كل جوانب حياته موجه بالغايات التي بموجبها يفاضل بين الوسائل ويقومها من أجل بلوغها،كما أن الجماعة الانسانية تؤدي وظائفها متى كان لدى أعضائها –على الأقل- التزاما قيميا أساسيا ومشتركا،وعندما يكونون عازمين جماعيا وفرديا على تحقيق هذه القيم والحفاظ عليها ،وتنبثف النظم الاجتماعية بوصفها تجسيدا للجهود المبذولة لتحقيق هذه الفيم والالتزام بها ،وأي تغير في الالتزامات القيمية لابد أن يؤدي إلى تحوير النظم التي تضمها .

وهكذا لا مفر من التصدي بالدراسة لهذه الغايات والقيم ،ومن هنا تتجلى صعوبة التخلص من التفسيرات الغائية قي العلوم الانسانية وما ينتج عنها من صعوبة التحليل والتكميم والقياس.

**2-عوائق متعلقة بالباحث:**

تنشأ الصعوبات المتصلة بالباحث من تأثره بالعوامل التي تحرّف حكمه على الواقع ،وتقوق قدرته على استخلاص النتائج من البيانات والشواهد التاحة لديه ،فالباحث على الرغم من اعتقاده المخلص فيما يقدمه إنما هو نقد لا يملك حكما سليما على الأمور،وعرضة للقفز إلى النتائج التي لا تسوغها بيانات كافية،ويمكن إيجاز هذه الصعاب في ثلاثة دوائر مختلفة هي الذاتية،والقيمة والأيديولوجية.

**أ-الذاتية:**تقترن الصعوبة المنهجيةالمتعلقة بذاتية الباحث وصلته بموضوع بحثه بالمشكلة الابستمولوجية التقليدية ،ورغم أن هذه المشكلة لا توجد في العلوم الطبيعية فإنها متأصلة في البحوث الانسانية والاجتماعية متوغلة في الدوافع التي تولدها،فللظاهرة الانسانية داخل وخارج ،لذا فإن البواعث والميول والأهداف والمقاصد ليست من الأمور التي يمكن أن تفضي المعاينة الحسية لدراستها إلا بتوسط خبرتنا الذاتية ،وهذا ما يعني أن نفترض سلفا الألفة بالبواعث والنوايا وسائر مصادر السلوك الانساني الهادف ،وكذا الألفة بالغايات والقيم التي يكون بلوغها هو الهدف المعلن أو المضمر لمثل هذا السلوك،إلا أن هذه الألفة أو التوحد قد تكون عائقا حقيقيا في وجه البحث العلمي فيختلط ما يعرفه الباحث عن نفسه بما يحاول دراسته.

**ب-القيمة**

إن أسئلة البحث تعبر عن اهتمامات الباحث التي لا يمكن أن يكون الباعث إليها علميا خالصا ،فهي اختيارات ونتاجات لتقويمات الباحث،وبدزن هذه التقويمات لن يكون للباحث اهتمامات ولا معنى ولا إحساس بالإحاطة أو بالدلالة المتعلقة بالمعطيات ،وبالتالي لن يكون لدينا موضوع.

إلا أن هذه القيم تختلف من باحث إلى آخر،لذا فإن الحياد القيمي في العلوم الانسانية أمر يوشك أن يكون مستحيلا ،لهذا يعتقد البعض أنه من العبث أن تحقق العلوم الانسانية إجماعا أو اتفاقا حول الوقائع وتفسيراتها،حيث تؤثر أحكام القيمة على النتائج وتمييز الوقائع وتحديدها.

**ج-الأيديولوجية:**

تنطوي الايديولوجيا على منظومة كاملة من الآراء والمعايير والمواقف التي تبرر وتعكس أو تعبر عن مصلحة الجماعة في مجملها بغض النظر عن تفاوت أدوار أعضائها ،وتباين مكانتهم ووضعهم في السياق الاجتماعي والتاريخي للمجتمع العام الذي يندرج فيه.

وقد يختلف المفكرون في معنى الايديولوجية ،إلا أنهم يتفقون في نهاية الأمر على انها تعبير عن ارتباط الفكر بالأصول الاجتماعية ،لذا فإن التفاعل بين الباحث والحياة الاجتماعية لا بد أن يخلق مواقف تقدير صدق الأقوال والأحكام والنظر في تأثيرها الفعلي .

فقد يسعى الباحث إلى الكشف عن الحقيقة ،ولكنه في الوقت ذاته لا بد من مزاولته لتفوذ معين من شأنه أن يؤثر في موضوعية أحكامه ،وإذا كان لتأقير الميول والمصالح الاجتماعية للباحث مثل هذا النفوذ في محتوى النظريات العلمية فإن هذا يدعو إلى الريبة وإمكان التحكم في التحيز.

**3-تحديات العلوم الإنسانية:**

لقد أثبتت العلوم الإنسانية وجودها ومكانتها على خريطة الفكر الانساني وذلك عن طريق موضوعاتها وتطورها المستمر وهي اليوم علوم كثيرة ذات مناهج متعددة.

وأصبحت هذه العلوم تسعى نحو التكامل الأفقي بينها وبين العلوم الأخرى والانفتاح على مجالات ودراسات أخرى ،فظهر مثلا 'علم النفس التربوي'،و'علم النفس الاقتصادي'و'علم الجغرافيا السياسية 'و'علم التاريخ الثقافي'وهكذا.

**خاتمة**

ويمكنننا القول في نهاية هذا المطاف أن العلوم الانسانية قد حققت العلمية بصفة نسبية باستعانتها بالعديد من المناهج وأدوات التحليل والقياس الرياضي ،وقد أثبتت حضورها بشكل متميز في مختلف المشكلات والتحديات التي تواجه الانسان والباحث على حد سواء.

**المراجع:**

-ابراهيم مصطفى ابراهيم:في فلسفة العلوم،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،مصر،2018 ،ط2 .

-يوسف زيدان:قضايا العلوم الانسانية:إشكالية المنهج،الهيئة العامة لقصور الثقافة،القاهرة.